إيجابيَّاتُ تدريسِ علومِ الحديث باللغة العربيَّة
والعقباتُ التي يواجهها الأساتذةُ والطلَّابُ غيرُ العربِ في ذلك

د. خليل إبراهيم قوتلاي

ملخّص

أهميَّة اللغة العربيَّةِ تنبع من أنَّها لغةُ كتابِ الله ونبيّنا الكريم، وأنَّها المفتاحُ إلى العلوم الإسلاميَّة؛ فقد نصَّ علماءُ الحديث على أهميَّة الكتابة الصحيحة للأحاديثِ، ولا يمكِن التخلُّص من كثرة اللحنِ فيها إلَّا عن طريق ممارسةٍ لغويَّةٍ مستمرَّةٍ.

ولكن هناك حواجزُ يواجهها الطلبةُ غير العرب، مثل: اعتقادهم بصعوبة اللغة، واستخدامُ طرقٍ غيرِ تربويَّةٍ.

ففي المقال توضيحُ العقباتِ والمقترحاتِ العمليَّة.

الكلمات المفتاحيَّةُ: تدريس، علوم الحديث، اللغة العربية، والعقبات، الطلَّاب غير العرب.

Hadis İlimlerinin Arapça Okutulmasının Olumlu Yönleri,
Hocaların ve Arap Olmayan Öğrencilerin Bu Konuda Karşılaştığı Engeller

Doç. Dr. **Halil İbrahim KUTLAY**

Özet

Arap Dilinin önemi, bu dilin Allah'ın Kitabının ve Peygamberinin dili, İslâmî İlimlerin anahtarı olması gibi özelliklerinden kaynaklanır. Hadis alimleri hadislerin doğru okunması ve doğru yazılmasının önemini vurgulamışlardır. Hadislerdeki dil hatalarından korunma için Arap Diliyle eğitimin sürekliliği gereklidir.

Ancak bu konuda Arap olmayan talebelerin karşılaştıkları bazı problemler bulunmaktadır. Öğrenciler arasında Arap Dilinin zor olduğu şeklindekİ yaygın inanç ve Arap Dili öğretiminde pedagojik olmayan metotların uygulanması bu engellerdendir.

Bu makalede Arap olmayan öğrencilerin karşılaştıkları engeller ve bunları aşmak için gerekli öneriler sunulmaktadır.

Anahtar Kelimeler: İslâmî İlimler, Hadis İlimleri, Arapça, Arap Olmayan Öğrenciler.

Positive Aspects of Teaching Hadith Sciences in Arabic,
Obstacles Faced by Teachers and non-Arabic Students in This Subject

Prof. Dr. **Halil İbrahim KUTLAY**

Abstract

The importance of the Arabic language stems from the fact that it is the language of the Book of Allah and the language of His Prophet and is the key to Islamic Sciences. The scholars of Hadith terminology have emphasized the importance of reading and writing the hadiths correctly. Protection from language mistakes in hadiths can only be possible by teaching Hadith Sciences in Arabic language. For this, the continuity of education in the Arabic language is a necessity.

However, there are some obstacles and problems faced by non-Arab students in this regard. The widespread belief that the Arabic Language is difficult is one of the psychological barriers. Although the application of non-pedagogical methods that make it difficult to learn this language

In this article, the obstacles faced by teachers and non-Arab students are explained and necessary suggestions are presented to overcome them.

Keywords: Islamic Sciences, Hadith Sciences, Arabic language, non-Arab students, obstacles.

- **تمهيدٌ في أهميَّة اللغة العربيَّةِ في تدريس العلومِ الإسلاميَّة**

من المعروف لدى الجميعِ ما بين اللغة العربيَّةِ والعلومِ الإسلاميَّةِ من صلةٍ وثيقةٍ، حيث إنَّ اللغةَ العربيَّةَ لغةٌ عالميَّةٌ إسلاميَّةٌ قديمةٌ ومهمَّةٌ، وتنبُع أهمِّيَّتها من نواحٍ عديدة: أهمُّها أنَّها لغةُ كتابِ الله العزيز، وأنَّها لغةُ نبِّينا الكريم، عليه أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم، فعلينا نحنُ -المسلمين- محبَّةُ اللغةِ العربيَّةِ من هاتين الناحيتين.

قال الإمام الأديبُ اللغويُّ المشهور أبو منصورٍ الثعالبيُّ (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م) في «فقه اللغة»: «مَنْ أحبَّ الله تعالى أحبَّ رسولَه محمدًا صلى الله عليه وسلم. ومَنْ أحبَّ الرسولَ العربيَّ، أحبَّ العرب، ومن أحبَّ العربَ أحبَّ العربية التي نَزل بها أفضلُ الكتب على أفضلِ العجمِ والعرب، ومَن أحبَّ العربية عُنِيَ بها، وثابَر عليها، وصرف هِمَّتَه إليها».[1]

ومن هذا المنطلَق ندرك عُمْقَ الصلة بين اللغة العربيَّةِ والإسلامِ، ومنذ العصر النبويّ السعيد انتشرت اللغةُ العربيَّةُ، وأصبحت لغةَ العلمِ والأدب والسياسةِ والتجارةِ والحضارةِ، بالإضافة إلى أنَّها لغةُ العبادةِ والدين.

كما تظهر أهميَّةُ اللغة العربيَّةِ في أنَّها مفتاحُ العلومِ الإسلاميَّةِ؛ ذلك لأنَّها تمنَح لمتعلِّمها الاطلاعَ على تراثٍ حضاريّ وعلميّ وفكريّ للأمَّة المحمَّديَّة التي حكمت القارَّاتِ الثلاث من العالم عدّةَ قرون، كما نجد بيانَ تلك الصلة على لسان الصحابة، ثمَّ على لسان الأئمَّةِ والعلماء.

فقد رَوَى الإمام أبو بكر بنُ أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م) بسنده: أنَّ سيِّدنا عمرَ رضي الله عنه كتب إلى أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه ما نصُّه: «أمَّا بعد: فتفقَّهوا في السنَّة، وتفقَّهوا في العربيَّة، وأعرِبوا القرآن، فإنَّه عربي».[2]

---

١ فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، ٩.

٢ المصنف، لأبي بكر بن أبي شيبة ١٥/٤٣٣، رقم ٣٠٥٣٤؛ وجامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، حديث رقم ٢٢٢٨.

وعن الصحابيِّ الجليل أبيِّ بنِ كعبٍ (ت ٣٣هـ/ ٦٥٤م) رضي الله عنه أنَّه قال: «تعلَّموا العربيَّة، كما تعلَّمون حِفْظَ القرآن.»[١] وقال الإمام الشافعيُّ رحمه الله في حديثه عن الابتداع في الدين: «ما جَهِل الناسُ، ولا اختلفوا، إلَّا لتركِهم لسانَ العرب.»[٢]

وتنبُع أهميَّةُ اللغة العربيَّة في أنَّها من أقوى الروابط بين المسلمين، ذلك لأنَّ اللغة بعد وحدة العقيدةِ من أهمِّ مقوِّمات الوحدة بين المجتمعِ والأخوَّةِ الإسلاميَّة، وللحفاظ على الوحدة الاجتماعية والعلميَّة. وما زالت الأمَّة المحمَّديَّةُ منذ القرون الأولى تحرِص على تعلُّم وتعليم اللغة العربيَّةِ ونشْرِها، على اختلاف أقوامِ المنتسبين إليها وأجناسهم وألوانِهم.

فالعربية لم تَعُدْ لغةً خاصَّة بالعرب وحْدَهم؛ بل أصبحت لغةَ المسلمين عامَّةً، يرغب في دراستها ملايين من المسلمين؛ بسبب صلتها الوثيقةِ بالإسلام والعلومِ الإسلاميَّة. فقد سجَّل التاريخُ أنَّ المسلمين من غير العربِ خدموا اللغة العربيَّةَ خدماتٍ جليلةً مشكورةً، كما خدموا علومَ الحديث، وكان المحدِّثون الأئمَّةُ الأعلامُ: البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه رحمهم الله أعاجمَ غيرَ عربٍ، وخدموا السنَّةَ النبويَّة تدوُّنًا وتعبُّدًا لله تعالى، وقاموا بجهودٍ جبَّارةٍ متميِّزةٍ لخدمةِ اللغة العربيَّة. جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

قال العلَّامةُ المفكِّرُ ابنُ خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) في «مقدِّمته» المشهورة: «من الغريبِ الواقع، أنَّ حملةَ العلمِ في الملَّة الإسلاميَّة، أكثرُهم العَجَم». وقال أيضًا: «فكان صاحبُ صناعة النحوِ سيبويه، والفارسي مِنْ بعده، والزجَّاج من بَعْدهما، وكلُّهم عُجْمٌ في أنسابهم، وإنَّما رُبُّوا في اللسان العربيِّ، فاكتسبوه بالمربى، ومخالطةِ العرب، وصيَّروه قوانينَ وفنًّا لمن بعدَهم، كذلك حملةُ الحديث الذين حفِظوه عن أهل الإسلام أكثرُهم عُجْمًا أو مستعجَمون.»[٣]

١ المصنف، لابن أبي شيبة: ٤٣٣/١٥، حديث رقم ٣٠٥٣٥.

٢ سير أعلام النبلاء، للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ٧٤/١٠.

٣ المقدمة، للمفكِّر عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ٥٤٣.

وكان بعضُ العلماء، يحمدُ الله على أن جعله من علماء اللغةِ العربيَّة، مع أنَّهُ أعجميٌ، لدرجة أنَّهُ يعتزُّ بذلك ويتعصَّب للغة العربيَّة، بسبب فَرْطِ مَحبته لها. قال المفسِّر اللغويُّ المشهورُ الإمام الزمخشريُّ (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٤م): «أحمدُ اللهَ أن جعلني من علماء العربيَّة، وجَبَلَني على الغضب للعرب والعصبيَّة.»[١]

وقد استمرَّت خدماتُ الشعوب المختلفةِ للإسلام وللعلوم الإسلاميَّةِ، مع إخوانهم العرب جنبًا إلى جنبٍ طوال التاريخِ الإسلاميّ، كما زخرت المكتباتُ العربيَّةُ بما صنَّفه العلماءُ الأعاجم من الكتب العربيَّة النفيسة.

وأمَّا في القرون الأخيرة، فقد ظهرت نَزَعاتٌ عُنْصُرية ونزعات تسمَّى «شعوبيَّةً» أو «قوميَّةً»، وضعُف الاهتمام باللغة العربيَّة عند العرب وغيرهم، وعُزِلت الشعوبُ المسلمةُ عن مصدرٍ من مصادرِ وحدتِها، وغابتْ هويَّةُ الأمَّةِ الحضاريَّةِ والثقافيَّة والدينيَّة.

واليوم نرى في البلاد الإسلاميَّة غير العربيَّة جامعاتٍ وكلِّيَّاتٍ ومدارسَ ومراكزَ إسلاميَّةٍ تتمُّ دراسةُ العلوم الإسلاميَّةِ فيها باللغة العربيَّة، وكانت أولُ كلِّيَّةٍ في تركيا تتمُّ الدراسةُ فيها باللغة العربيَّةِ هي كليَّةُ العلوم الإسلاميَّةِ في جامعتنا جامعةِ السلطانِ محمَّد الفاتح الوقفيَّة، ثمَّ كليَّةُ العلوم الإسلاميَّةِ في جامعة يالوا، ولله الحمدُ والمنَّةُ.

واليومَ مع أهمية اللغة العربيَّةِ والإقبال عليها بصورةٍ واضحةٍ، نرى الجهودَ المبذولة من أجل هذه اللغة من قِبَل المؤسَّساتِ التعليميَّة في البلاد العربيَّةِ قِلَّةً قليلةً للأسف، وذلك بالمقارنة مع ما تبذُل بلادُ الغرب من أجل لغاتِهم، فنحتاج إلى المزيد والمزيد. وبعد هذه المقدِّمةِ، يمكننا الانتقالُ إلى إيجابيات تدريسِ علوم الحديثِ باللغة العربيَّة.

١ مقدمة كتاب المفصل للزمخشري، نقله عنه الدكتور صبحي الصالح، في كتابه معالم الشريعة، ١١٠.

المحورُ الأوَّلُ

إيجابياتُ تدريسِ (علوم الحديث) باللغة العربيَّة:

في الحقيقة فإنَّ تدريسَ العلوم الإسلاميَّة باللغة العربيَّة أمرٌ ضروريٌّ في العلوم الإسلاميَّة الأساسيَّةِ، مثل الفقه والحديث والتفسير وأصول الفقه وعلوم الحديث وعلوم القرآن.

فمن المعلوم أنّ علمَ الحديث النبويّ من أهمِّ العلوم الإسلاميَّةِ لفهم كتابِ الله الكريم ومعرفةِ السنَّةِ المطهَّرة والسيرةِ النبويَّةِ والعقيدةِ الإسلاميَّة السليمةِ والفقهِ الإسلاميّ والأخلاقِ الإسلاميَّة، لدرجة أنَّ اللغة العربيَّة أصبحتْ شعارَ الإسلام والمسلمين، وأنَّ بين اللغة العربيَّةِ والعلومِ الإسلاميَّةِ علاقةً عُضويَّةً لا فِكَاك لها، وأنَّ مَثَلَها كَمَثَلِ الروحِ والجسد.

كما توجد صلةٌ وثيقةٌ بين النحو وعلومِ الحديث، فقد نصَّ علماءُ المصطلح على أهميَّة الحرص على كتابة وقراءةِ الأحاديث النبويَّةِ بصورةٍ صحيحةٍ، فإنَّ مخالفةَ القواعدِ النحويَّةِ في كتابةِ أو قراءةِ الأحاديث النبويَّة، لا يجوزُ تعمُّدُها لما يُخْشَى أن يَجُرَّ إلى اللحن في الحديث، فقد منع المحدِّثون اللحنَ في الحديث النبويّ؛ لدرجة أنَّ بعضَ علماءِ المصطلح، اعتبروا اللحن في الحديث النبويّ من الكذِب والقولِ على النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء فيه الوعيدُ الشديدُ في قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ متعمِّدًا فليتبوَّأْ مقعدَه من النار».[1]

وكان الأئمَّةُ المحدِّثون يهتمُّون بالالتزام بالنقل الصحيحِ في رواية الأحاديثِ النبويَّةِ، ويمنعونَ اللحنَ في الحديث النبويّ، وكان منهم الإمامُ محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ/ ٧٤٢م)، حيث حكى الإمامُ ابنُ عساكرَ (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٦م)، في «تاريخ دمشقَ» بسنده عن عبد الرحمنِ بن مهديٍّ أنَّه قال: سمعت مالك بن أنس يقول: قرأت على الزهري سبعين حديثًا، فلحنتُ في حديث، حرَّك

١ حديث متفق عليه، فقد أخرجه البخاري في صحيحه: الجنائز ٣٣، برقم ١٢٩١؛ ومسلم في مقدمة صحيحه، برقم ٤.

دابَّتَه، وقال: «أُفٍّ أفٍّ، ذهب فَهْمُ الناس.»[1]

ذكر الحافظُ ابنُ الصلاح (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) أنَّهُ حُقَّ على طالب الحديثِ أن يتعلَّم من النحو واللغةِ ما يتخلَّص به من شين اللحنِ والتحريفِ ومعرَّتِهما. ونقل عن شعبة ابنِ الحجَّاج (ت ١٦٠هـ/ ٧٧٦م) أنَّهُ قال: «من طلب الحديثَ ولم يبصر العربيَّة فمثله مثل رجل عليه برنس ليس له رأس»، أو كما قال. وعن حمَّاد بن سلمة (ت ١٦٧هـ/ ٧٨٤م) قال: «مثلُ الذي يطلب الحديثَ ولا يعرفُ النحوَ مثلُ الحمار عليه مخلاة لا عير فيها.» وأضاف الحافظُ ابن الصلاح فقال: «أمَّا التصحيفُ فسبيلُ السلامةِ منه الأخذُ من أفواه أهلِ العلمِ والضبط؛ فإنَّ من حُرم ذلك وكان أخْذُه وتعلُّمُه من بطون الكتب كان من شأنه التحريفُ ولم يفلِت من التبديل والتصحيف»، والله أعلم.[2]

وقال الأديب اللغوي أبو سعيد عبدُ الملك بن كُرَيْب الأصْمَعي (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م): «إنَّ أخْوَفَ ما أخاف على طالبِ العلم، إذا لم يكن يعرفِ النحوَ، أن يَدخلَ في جملة قوله صلَّى الله عليه وسلَّم «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ متعمِّدًا فليتبوأْ مقعده من النار» لأنَّه لم يكن يلحَن، فمهما رويتَ عنه ولحنتَ فيه، فقد كذبتَ عليه».[3]

وذكر الإمامُ الحافظ ابنُ عبدِ البرِّ (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م) في «جامع بيان العلم»، بسنده عن نافعٍ، أنَّ ابنَ عمرَ رضي الله عنهما كان يضربُ ولدَه على اللحن.[4]

ولذا قال الحافظُ زين الدين العراقي (ت ٨٠٦هـ/ ١٤٠٤م) في ألفيَّةِ مصطلح الحديث:[5]

---

١ تاريخ دمشق، لأبي القاسم الحسن بن علي الدمشقي المعروف بابن عساكر، ٥٥/ ٣٢٥.

٢ علوم الحديث، لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح، ٢١٧.

٣ كما في غريب الحديث، لأبي سليمان حمد بن محمد البستي الخطابي، ١/ ٦٣، ونقله عنه ابن الصلاح في علوم الحديث، ٢١٧.

٤ الحديث صحيح الإسناد، أخرجه أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر القرطبي في جامع بيان العلم وفضله، ٤٥٧ حديث رقم ١٢٣٣.

٥ كما في فتح المغيث في شرح ألفية الحديث، لأبي الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ٢/ ٢٥٧.

ولْيَحذَرِ اللَّحَّانَ والمُصَحِّفَا عَلَى حَديثِـه بأنْ يُحَــرِّفا

فَيَدْخُلَا في قَولِه: مَنْ كَذَبَا فحَقُّ النَّحْوُ علَى مَن طَلَبا

وقال الشيخ عبد الله بن إبراهيم الشنقيطي (ت ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م) في «طَلْعةِ الأنوار»:[١]

قد خوَّفوا اللاَّحِنَ من وعيدِ في مُفْتَرٍ على النبي شديدِ

وذكر الحافظ شمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م) في «فتح المغيث» عن حمَّادِ بنِ سلمة أنَّه قال لإنسان: «إن لحنتَ في حديثي، فقد كذبتَ عليَّ، فإنّي لا ألحن.». وصدقَ - رحمه الله - فإنَّه كان مقدَّمًا في ذلك، بحيث إنَّ سيبويه شكا إلى الخليل بن أحمدَ أنَّه سأله عن حديث هشامِ بن عروة عن أبيه في رجل (رعُف) يعني بضم العين - على لغة ضعيفة – فانتهره، وقال له: أخطأتَ، إنَّما هو (رَعَفَ) يعني بفتحها، فقال له الخليل: صدق، أتَلْقَى بهذا الكلام أبا سلَمة؟ وهو مما ذُكِر في سبب تعلم سيبويه العربيَّة.[٢]

وقد عُنِيَ المحدِّثون عنايةً تامَّةً بإجادة اللغة العربيَّةِ وخلوِّ الرواية من الأخطاء النحويَّةِ في أسانيد الأحاديثِ ومتونِها، بما أنَّ العناية الزائدةَ لدى المحدِّثين بضبط أسماء الرجالِ والمتون الحديثيَّة، فقد اعتبروا المطاعنَ المتعلِّقةَ بالضبط من المطاعن العشرةِ، وهي خمسة: كثرةُ الغلطِ، وفرطُ الغفلة، وسوءُ الحفظ، والوهمُ، ومخالفةُ الثقاتِ، فجعلوا ما فيه مخالفةً بتغيير حرفٍ أو أكثرَ سواءٌ كان التغييرُ في النقط أو في الشكل نوعًا خاصًّا من أنواع الحديث، فسمَّوه (المصحَّف) بتشديد الحاء المهملة المفتوحة، ولم يفصِّله المتقدمون، وقد فصَّله الحافظُ ابنُ حجرٍ وجعله نوعين، الأوَّل: ما فيه مخالفةٌ بتغييرٍ في النقط وهو المصحَّف، والثاني: ما فيه مخالفةٌ بتغييرٍ في الشكْلِ، وهو المحرَّفُ،[٣] وتكمُن أهميَّةُ ذلك في كشف

١ طلعة الأنوار في علم آثار النبي المختار (وهو مختصر ألفية العراقي) لعبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي.

٢ فتح المغيث، للسخاوي: ٢/ ٢٥٨.

٣ علوم الحديث، لابن الصلاح: ٢٨٣، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ٩٤، فتح المغيث، للسخاوي: ٣/ ٧٢.

الأخطاءِ التي وقع فيها بعضُ الرواة، فقد ألَّفوا فيه مؤلَّفاتٍ، منها: كتاب التنبيه على حدوث التصحيفِ، لأبي عبد الله حمزةَ بن حسن الأصفهانيّ (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)، ومنها: تصحيفاتُ المحدِّثين في غريب الحديث، لأبي أحمدَ الحسنِ بن عبد الله العسكريّ (ت ٣٨٢هـ/ ٩٩٢م)، ومنها: شرحُ ما يقع فيه التصحيفُ والتحريفُ للعسكريّ أيضًا، ومنها: إصلاحُ خطأِ المحدِّثين، لأبي سليمان حمدِ بن محمد البستيّ الخطابيّ (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)، ومنها: تلخيصُ المتشابه في الرسم وحمايةُ ما أشكل منه عن بوادر التصحيفِ والوهمِ، للخطيب أحمدَ بن عليّ بن ثابت البغداديّ (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)، ومنها: تصحيحُ التصحيفِ وتحريرُ التحريف، لصلاح الدين خليلِ بن آيبك الصفديّ (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م).

فبناءً على اهتمام العلماءِ والمحدِّثين واللغوين بعدم الوقوعِ في اللحنِ، أقول: على من يمارس علومَ الحديثِ النبويّ أن يحفظَ لسانَه من الوقوعِ في اللحن، لأنَّه يغيّر المعنى ولو كان بغيرِ قَصْدٍ، فلا يمكن التخلُّص من كثرةِ اللحن إلَّا عن طريق استخدامِ اللغة العربيَّةِ في تدريس علوم الحديث.

ولا يكفي في ذلك معرفةُ القواعدِ النحويَّةِ، فإنَّ الدارسَ لا ينجو من الوقوعِ في اللحن والخطأ اللغويّ المتوقَّع في الحديث، إلَّا بتطبيقِ القواعد النحويَّة بالفعل، أو بتعبيرٍ آخر بدراسة علومِ الحديث باللغة العربيَّة.

ومن ناحيةٍ أخرى تشملُ مادَّةُ (علوم الحديث) مصطلحاتٍ حديثيَّةً كثيرةً، لا بُدَّ من الحفاظِ عليها كما هي، مثل المصطلحاتِ الطبيَّةِ اللاتينيَّةِ التي يحافظ عليها الأطباء وعلماءُ الطبِّ، حيث إنَّ المصطلحاتِ الحديثيَّةَ نشأت واستُخدِمت بين المحدِّثين طوالَ قرونٍ، ومن المتعذِّر ترجمتُها بصورةٍ دقيقةٍ إلى لغةٍ أخرى. ولذلك يجب على مدرِّس علوم الحديثِ استخدامُها كما هي بدون ترجمةٍ، ولا يمكِن ذلك إلَّا بدراسة علوم الحديثِ باللغة العربيَّة.

وقد أظهرت التجاربُ العمليَّة أنَّ الطالب الذي درس علومَ الحديثِ باللغة العربيَّةِ يفهمُ الدقائقَ واللطائفَ بصورةٍ أفضل، فمثلًا عندنا علمُ الجرح والتعديل، وهو علمٌ يَشْهد لحرصِ علماء الأمَّةِ المحمَّديَّة على النقد الدقيقِ السليمِ لرواة

الحديثِ النبويِّ للتثبُّت من صحَّةِ السنَّة النبويَّةِ، وفي هذا العلم تفرقةٌ دقيقةٌ بين كلِّ لفظٍ وآخر، للتأكُّد من توثيق الرواة.

ممّا يدلّنا على أهمِّيَّة الدقائق اللغويَّةِ في علوم الحديث، فقد فرَّق المحدِّثون بين (ثقة) و(وُثِّق) بصيغةٍ مجهولةٍ، كما فرَّقوا بين (الحديث الغريب) و(غريب الحديث)، وبين الراوي (منكَر الحديثِ) والراوي الذي (يروي أحاديثَ منكرة)[١] علمًا بأنَّ فهمَ الفروق بين المصطلحات يعتمدُ أولًا على المعاني اللغويَّة، ثمَّ على استخدامها بين المتخصِّصين.

المحور الثاني

العقباتُ التي يواجهها الأساتذةُ في تدريس علومِ الحديث بالعربيَّة.

فمن المعلوم أنّ هناك موانعُ من الأشياء، وأنَّ للعلم موانعَ، ومن موانع العلمِ الحواجزُ النفسيَّة، وهي عدمُ الاستعداد النفسيِّ لذلك واستِصْعابُه، علمًا بأنَّ أكبرَ العقبات التي يواجهها الأساتذةُ وطلبةُ العلم غيرُ العرب هي ما عانَوه من حواجزَ نفسيَّةٍ في دراسة العلوم الإسلاميَّةِ باللغة العربيَّةِ، وأنَّ الحاجزَ النفسيَّ في ذلك هو اعتقادُهم بأنَّه صعبٌ متعذِّر.

حيث إنَّ كثيرًا من الأساتذةِ والطلبة غيرِ العرب، ما زالوا يعتقدون أنَّ اللغةَ العربيَّةَ صعبةٌ، فتتعذَّر دراسةُ العلومِ الإسلاميَّةِ بها، فإنَّهم ممَّن فقدوا الثقةَ بالنفس في تعلُّم اللغة، وسيطرَت عليهم مشاعرُ عدمِ القدرةِ والمبادرة، وهذه عُقْدَةٌ نفسيَّةٌ لا بُدَّ من معالجتها أوَّلًا، ولا يتمُّ معالجتُها إلا بكثرة الممارسة باستخدام اللغة العربيَّة.

نعم، إنَّ كثيرًا من أساتذة الحديثِ النبويِّ في بلادنا تركيا، ما زالوا يعتقدون اعتقادًا جازمًا بأنَّه لا يُمكن دراسةُ علوم الحديثِ وفهمُها باللغة العربيَّة، ولا يتحرَّجون بذكر ذلك في كلِّ مناسبة، وقد نعتبرهم في أوَّل الأمرِ معذورين في

١ قواعد في علوم الحديث، لظفر أحمد التهانوي، ٢٦١.

ذلك؛ لأنَّهم لم يتعوَّدوا على ذلك من قبل.

وقد كنتُ أقوم بتدريس كتابِ (نخبةِ الفِكَر مع شرحه نُزهةِ النظرِ) للحافظ ابنِ حجرٍ العسقلانيّ (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٩١م) رحمه الله، لطلَّاب كلِّيَّة الإلهياتِ بجامعة مرمرة، في حلقةٍ دراسيَّةٍ خاصّةٍ في مسجد السلطان محمَّد الفاتح في إسطنبول.

ولكن مع أنَّني أشرح للطلَّاب هذا الكتابَ باللغة التركيّة الواضحة، فما كان الطلاب يفهمون بعضَ المصطلحاتِ من الكتاب حقَّ الفهم، فشكوتُ إلى شيخي الجليلِ فضلية الشيخ محمَّد أمين سراج (ت ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م) رحمه الله، عدمَ فهمِ بعض الطلَّاب لبعض مصطلحات الكتابِ حقَّ الفهمِ، حيث إنَّ فضيلةَ الشيخ كان يحضرُ دروسي ويعيشُ معي هذه الظاهرة، فقال لي: «لو فهِموا في أوَّل الأمرِ نصفَ الكتاب لكفاهم.» وذلك لأنَّهم لم يسبق لهم دراسةُ كتابٍ في علم مصطلحِ الحديث غيرَ كتابٍ واحدٍ فقط، ولم يتعوَّدوا على هذه المصطلحاتِ في حياتهم اليوميَّة، أعني أنَّ الصعوبةَ في ذلك لا ترجع إلى اللغة، وإنَّما ترجع إلى كثرة المصطلحاتِ الحديثيّة ودقَّتِها.

المحور الثالث

العقباتُ التي تواجها الطلَّابُ في دراسة علومِ الحديثِ باللغة العربيَّةِ

ومن العقبات الراهنةِ أمامَ الدارسِ والأستاذِ، إجراءُ المناهج غيرِ التربويَّة في تعليم اللغة العربيَّة في كثيرٍ من البلاد الإسلاميَّة، واعتمادُ المدرّسين في ذلك على القواعد النحويَّة اعتمادًا كبيرًا، حتى إن كثيرًا من الطلبة لم يتعلَّموا من اللغة العربيَّة إلَّا طريقةَ الترجمة، مع مرور زمنٍ غيرِ قليل لهم في الدراسة الشرعيَّة.

فيجب أوَّلًا التغلُّب على هذه الحواجزِ النفسيَّةِ التي تُضْعِفُ الهممَ والعزائمَ لدى الدَّارسين، وذلك بتسهيل المادَّةِ باستخدام الطرقِ الحديثةِ المتعدِّدة، وتقريبِها إلى أذهان الطلبة باستخدام المناهجِ التعليميَّةِ الحديثةِ، مثل اللوحاتِ الذكيَّةِ والنماذجِ التطبيقيَّة، وشرح الموضوعات خطوةً بعد خطوة، بأساليبَ تُلائمُ المستوى اللغويَّ لدى الطلَّاب غير الناطقين بالعربيَّة.

ومن العقبات التي تواجه الطلَّابَ كثرة المصطلحاتِ الجديدةِ في علوم الحديث، فمثلًا: نتناول لفظَ (المضطرب)، فإنَّ الطالب العربيَّ يستخدم في حياته اليوميَّةِ كلمة (المضطرب) فيقول مثلًا: (مواعيدُه مضطربةٌ)، ويقول (اضطربَ الأمرُ)، وما إلى ذلك.

وعندما يَدرُس الطالبُ العربيُّ (الحديث المضطرب) يسهُل عليه فهمُه بسهولةٍ؛ لأنَّه يستخدم هذا الاصطلاح في حياته العاديَّةِ، فينتقل إلى الموضوع بسهولةٍ، وكذلك الطالبُ الذي يتحدَّث باللغة العربيَّةِ من غير العربِ ويستخدم في دراسته اللغةَ العربيَّةَ؛ فإنَّه أيضًا يفهم هذا المصطلح بسهولة.

وأمَّا الطالبُ التركيُّ الذي لم يسمعْ هذا المصطلحَ من قبل، فإنَّهُ يحاول فهمَ معناه اللغوي أوَّلًا، ثمَّ يحاول فهمَ المعنى الاصطلاحيِّ، ولم يرسخ في ذهنه هذا الاصطلاح بعد، لأن بعضَ علماء التربيةِ والتعليم يقولون بأنَّ المصطلحَ الجديدَ لا يرسخ في الذهن إلَّا بعد استخدامِه أكثرَ من ستين مرة في مناسباتٍ شتَّى.

وفي بعض الأحيانِ، يشقُّ على الطالبِ فهمُ المصطلحِ؛ بسبب أنَّهُ يستخدمُه في لغته الأمِّ بمعنًى آخر، فكلمة (المضطرب) تستعمَل في اللغة التركيَّةِ بمعنى «قلِق»، و(الاضطراب) في اللغة التركيَّة بمعنى «قلَق»، فيغلبُ على الطالب التركيِّ استخدامُه اليوميُّ بلغتهَ الأمِّ، فيضطرِب الأمرُ عنده في كلمة (المضطرب).

وهناك عقبةٌ أخرى وهي ضعفُ بعضِ الطلبة في اللغة العربيَّة، حيث إنَّ فهمَ المصطلحاتِ الحديثيَّةِ يعتمد على إجادة اللغة العربيَّةِ، فإنَّ الفهمَ الناقصَ في اللغة العربيَّةِ، ينعكس على فهم المصطلحاتِ الدقيقةِ في علوم الحديثِ بصورةٍ سلبيَّةٍ.

علمًا بأنَّ الطلَّابَ الممتازين والمتوسِّطين في اللغة، يفهمون ما شرحه الأستاذُ باللغة العربيَّة بشكلٍ كاملٍ، ولكنْ قد يكون هناك طلابٌ ضعفاءُ في اللغة، يشقُّ عليهم فهمُ الدروس، فيطلبون من أستاذهم التركيِّ ترجمةَ الدروسِ خارج الحصَّةِ، ولو كان بصورةٍ مختصرةٍ، كما يشتكي بعضُ الطلَّابِ من سرعة الكلام لدى الأساتذةِ العرب.

المحور الرابع

تجاربُ شخصيَّةٌ في دراسة وتدريسِ علوم الحديثِ باللغة العربيّة

فأنا شخصيًّا بدأتْ صلتي باللغة العربيَّةِ قبل أربع وخمسين سنة، في سنة ١٩٦٨م، يومَ أن دخلتُ طالبًا في الصفِّ الأوَّل من المدرسة المتوسِّطة في مدارس الأئمَّة والخطباء، فإنَّ الدراسةَ في المدرسة المتوسِّطة وفي ثانويَّة الأئمَّةِ والخطباءِ بكاملها كانت باللغة التركيَّة، وكذلك في المعهد الإسلاميّ العالي، حيث كنَّا نكتفي بالترجمة، ففي النهاية أصبحنا مترجمين خُبراءَ نترجم من العربيَّة إلى التركيَّة، وفعلًا قمتُ بترجمة أكثر من عشرة آلاف صفحةٍ من الكتب العربيَّةِ المتعلِّقة بالتفسير والحديثِ والفقهِ والسيرة النبويَّة والدعوةِ الإسلاميَّة، وللأسف كان ينقصنا حينئذٍ المحادثةُ العربيَّةُ وبالتالي فهمُ الدقائق اللغويَّة والعلميَّة.

ثمَّ كانت أوَّلُ دراسةٍ لي باللغة العربيّة في مدرسة الفرقان الوقفيَّة في دمشقَ، ثم شرَّفني الله تبارك وتعالى بمتابعة الدراسة اللغويَّة والشرعيَّة بجامعة أمِّ القرى في مكَّةَ المكرَّمة، طوالَ خمسَ عشرةَ سنةً بدأتْ بمركز اللغة العربيَّة، ثمَّ آخر مستوى من الكلية، ثمَّ مرحلة الماجستير، وانتهتْ بالحصول على الدكتوراه، ولله الحمدُ والمنَّة.

لماذا أذكر ذلك كلَّه؟ لأنِّي مع أنِّي درستُ العلوم الإسلاميَّةَ لدى الأساتذة الأتراك المتخصِّصين المخلِصين لله في تركيا، فقد شعرتُ بصعوبةٍ شديدةٍ، في فهم بعضِ المصطلحاتِ العلميَّة، وعانيتُ معاناةً شديدةً في فهم بعض الدقائقِ العلميَّةِ في أوَّل الأمر، بما أنَّ دراستي في العلوم الإسلاميَّة في تركيا كانت باللغة التركيَّة وليست بالعربيَّة، ولم يكنْ عندنا دراسةٌ باللغة العربيَّة في تركيا حينئذٍ إطلاقًا.

أمَّا الإخوة العربُ -إكرامًا لهم من الله الكريمِ فطريًّا- فإنَّهم يدخلون في السِّباق العلميّ مع غيرهم، وهم قد قطعوا شوطًا كبيرًا من اللغة العربيَّة والعلوم الإسلاميَّة، في بداية تحصيلِهم العلميّ، وأخذوا يناقشون القضايا العلميَّة في الوقت المبكِّر من حياتهم العلميَّة، بينما كان الناطقون بغير اللغة العربية مشغولين بفهم

الكلماتِ الجديدة والتعبيرات المغمورة بعد.

فإنّي أعتقد أنَّ تدريسَ العلوم الإسلاميَّة باللغة العربيَّة، سيُعطي ثمارَه المباركةَ في توفير الوقتِ والطاقةِ وكسب المهارات اللغويَّةِ، وخاصَّة في زيادة المحبَّة للعلوم الإسلاميَّة، فإنَّ محبَّةَ العلمِ أهمُّ مفتاحٍ للنجاح في طلب العلم.

وأقول صراحةً: إنَّني لو لم أدرسْ علومَ الحديثِ في جامعة أمِّ القرى بمكَّة المكرَّمة عند شيوخنا الأزهريِّين ومنهم الأستاذ الدكتور إسماعيل الدفتار (ت ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م) خطيب جامع الأزهر رحمه الله، لمَا كنتُ أعتقدُ سهولَتَه. ولو لم يلخِّص لنا فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور نور الدين عتر الحلبيُّ (ت ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م) رحمه الله، جميعَ موضوعاتِ علومِ الحديثِ بلغةٍ سهلةٍ لطيفةٍ في عشْرِ حلقاتٍ دراسيّةٍ في جامعة أمِّ القرى، يوم أن كانت الجامعةُ ابتعثتْه من جامعة دمشقَ، لكنتُ أنا أيضًا ممَّن يستصعِبُ تدريسَ (علوم الحديث) باللغة العربيَّة. وأسأل اللهَ التيسيرَ والتسهيلَ لطلبة العلم؛ فإنَّه لا سهلَ إلَّا ما جعل الله لنا سهلًا، ويجعل الحزْنَ إن شاء سهلًا.

وفعلًا، فقد أثبتنا نحن الأساتذة في كلية العلومِ الإسلاميَّةِ بجامعتنا جامعةِ السلطان محمَّد الفاتحِ الوقفيَّةِ بعون الله تعالى، أنّ دراسةَ (علوم الحديث) باللغة العربيَّةِ أسهلُ بكثير من دراستها باللغة التركيَّةِ، فمثلًا: إنَّني بعون الله تعالى أقوم بتدريس كتاب (تيسير مصطلح الحديث) للدكتور محمود أحمد الطحَّان (ت ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م) رحمه الله، كتابًا مقرَّرًا في مادَّةِ علوم الحديثِ في الصفِّ الأوَّل من الكلّيَّة، وهو كتابٌ سهلٌ ميسَّرٌ لطيفٌ، إلَّا أنَّهُ أُلِّفَ للطلَّاب العربِ، ومع ذلك اعترف كثيرٌ من طلابنا بأنَّ هذا الكتاب أسهلُ بكثير من المترجَم إلى التركيَّةِ، وذلك بسبب تعذُّرِ ترجمةِ المصطلحات الحديثيَّةِ إلى لغةٍ أخرى بكلِّ دقائقها.

المحور الخامس

وسائلُ تقويةِ المهارات اللغويَّةِ وبعض الاقتراحاتِ العمليَّة:

تفاديًا للإشكالات المطروحةِ يُمكِننا أن نقترح اتِّخاذَ الإجراءاتِ العَمَليَّة في

تقوية المهارات اللغويَّةِ، خلال تدريس العلوم الإسلاميَّة باللغة العربيَّةِ، وتدريس علوم الحديثِ خاصَّة.

فمنها: تكثيرُ الأمثلةِ في موضوعات المصطلحِ، حيث إنَّ كتبَ المصطلحِ قديمًا وحديثًا لا تشتمل على نماذجَ كثيرةٍ من أنواعِ الحديثِ النبويّ، وغالبًا ما يُكتفَى بمثالٍ واحدٍ، في كلِّ نوعٍ من الأنواع، وهذا لا يكفي للطالب في استيعاب الموضوع.

ومنها: تكليفُ الطلَّاب بحفظ الأحاديثِ النبويَّة، كي يتداولوها فيما بينهم؛ حتّى يحصلَ لها في أنفسهم محبَّةٌ وتوقيرٌ، وتتكامل مَلَكة التعبيرِ عنها والإفادةِ منها، فيدخلوا بذلك في الجوِّ الروحانيّ لحديث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، حتى لا يدرسوا العلوم الإسلاميَّة، للوصول إلى قواعدَ علميَّةٍ فقط، وإنَّما للاستفادة منها شخصيًّا قبل إفادةِ الآخرين. فإنّ أوَّل شيءٍ يتحلَّى به طالبُ العلم الشرعيّ: هو تقوى الله سبحانه وتعالى، والأدبُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومنها: توجيه الطلَّابِ إلى مناقشاتٍ علميَّةٍ باللغة العربيَّة في حلِّ قضايا حديثيَّةٍ حديثةٍ بالتكليف بواجباتٍ يوميّةٍ وإعداد البحوثِ الكتابيَّةِ والتمريناتِ اللغويَّةِ، ليتعوَّدوا على إلقاء محاضراتٍ علميّةٍ قصيرةٍ أمام الطلَّاب، فإنَّ الرجلَ الذي يشتغل بقضيّةٍ علميّةٍ ينسى نفسَه ويفنى في القضيَّة التي يتناولها ويريدُ معالجتَها حقَّ المعالجة، فيجتهد أكثرَ للدفاع عن دعواه ويبذل في ذلك قصارى جهودِه.

ومنها: توصيةُ الطلَّابِ بقراءةِ كتبٍ قديمةٍ وتحليلها، من التراث العلميّ من المؤلَّفات العلميّة للمتخصِّصين في الحديث النبويّ، أمام مجموعةٍ من الطلَّاب، وذلك يتمُّ خاصةً في معسكراتٍ صيفيّةٍ شبابيّةٍ ودوراتٍ لغويّةٍ في تقوية المهارات اللغويَّة.

ومنها: تأسيسُ كلِّيَّاتٍ مستقلَّةٍ لعلوم الحديثِ، أو إحياءِ دُور الحديثِ، حيث كان لها دَوْرٌ مهمٌ في تطوُّرِ علوم الحديثِ في التاريخ الإسلاميّ؛ لأنَّ دراسةَ الحديثِ كمادَّةٍ من الموادِّ الدراسية لا يكفي لإعطاء الثمارِ المنشودةِ.

ومنها: الاستفادةُ من المشايخ المتخصِّصين في علوم الحديثِ الموجودين في تركيا، ولا بُدَّ من الاعتراف بأنَّنا لا نستفيدُ حقَّ الاستفادةِ من الضيوف الكرامِ من الأساتذة والمشايخ المهاجرينَ من البلاد العربيَّةِ إلى تركيا وخاصَّةً المشايخَ السوريِّين منهم، سامحنا الله في ذلك.

وأخيرًا: عند إجراء هذه الوسائلِ العَمَليَّة باهتمامٍ ودقَّةٍ، سيتحقَّق بإذن الله تعالى النجاحُ الملموسُ في تعليم علومِ الحديثِ باللغة العربيَّةِ، إن شاء الله تعالى.

وبالله التوفيق والسَّداد. وآخر دعوانا أنِ الحمدُ للَّه رب العالمين.

* * *

المصادر

- تاريخ دمشق، لأبي القاسم الحسن بن علي الدمشقي المعروف بابن عساكر، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، تحقيق مسعد عبد الحميد محمد السعدني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- الجامع الصحيح، لمسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار جاغري للنشر، إسطنبول ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- سير أعلام النبلاء، للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- صحيح البخاري (انظر: فتح الباري).
- صحيح مسلم (انظر: الجامع الصحيح، لمسلم).
- طلعة الأنوار في علم آثار النبي المختار (وهو مختصر ألفية العراقي) للشيخ عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي، بتحقيق محمد شايب شريف، ط١، دار حزم، بيروت، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- علوم الحديث، لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح، بتحقيق نور الدين عتر، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- غريب الحديث، لأبي سليمان حمد بن محمد البستي الخطابي، بتحقيق عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل محمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقق محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح عبد العزيز بن باز، دار الفكر بيروت، بدون تاريخ.
- فتح المغيث في شرح ألفية الحديث، للإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، بتحقيق علي حسين علي، دار الإمام الطبري، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، دار الحكمة، دمشق، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

- قواعد في علوم الحديث، لظفر أحمد التهانوي، بتحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط٣، دار القلم، بيروت، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- المصنف، لأبي بكر بن أبي شيبة، بتحقيق محمد عوامة، ط١، دار القبلة، جدة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- المفصل للزمخشري، نقله عنه الدكتور صبحي الصالح، في كتابه معالم الشريعة.
- المقدمة، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، بتحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بتحقيق نور الدين عتر، دار الخير، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.